المبحث الثانى

المرأة والإبداع

- 1 -

تزخر الكتب المقدسة بقصص الأنبياء والرسل، وكذلك بعض البشر العاديين، كما أنها تحفل بمشاهد عن الجنة والنار والملائكة والشياطين، وترسم لنا عالمًا حيًا لهذا الفن عبر الأدب الرفيع.

وقد قص علينا القرآن الكريم شيئًا من هذا فى أسلوب بديع، لا يكاد يحط من قدر الشخصية، أو يترع بها إلى دركات أخرى لا تليق بها، وقد جاء ذلك كله فى إحكام يرقى بهذا القص ويسمو به.

لقد "امتاز قصص القرآن الكريم بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه، اشتمل على فصول فى الأخلاق مما يهذب النفوس، ويُجمِّل الطبع، وينشر الحكمة والآداب، وطرق فى التربية والتهذيب شتى، تساق أحيانًا مساق الحوار، وطورًا مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإنذار، وكل هذا قصه الله فى قول بين، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع، وافتنان عجيب"[1].

وليس معنى ذلك، أن هذا القصص يعد خلوًا من التصوير الخلاق، بل هو ثرى بهذا، يستمد عناصره من مهابط الجمال الروحى والمادى، كما أنه ينأى عن التبذل والفحش والإثارة، وإن عبر عن خصائص الجنس وأسراره.

غير أن "القصة القرآنية، لا تتخير مادتها مما من شأنه أن يثير العواطف ويهيج الخواطر .. إنما يفعل ذلك من يتخير لنفسه

---

(1) محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن، دار الرشيد، دمشق، 1987، ص3.

بضـــاعة يـــروج لها عند الناس بالخداع والتمويه، ولهذا لم يكن مكان المرأة فى القصص القرآنى مستجلبًا للإثارة والتشويق، وإنما كانت المرأة حيث كان لها مكان فى هذه القصص" [1].

يقول الدكتور عبد المرضى زكريا: "وشخصية الرجل والمرأة عـــلى السواء نادرًا ما يظهر منها البعد الجسمى، لأنه لا يخدم الهـــدف المـــتوخى من ذكر القصة القرآنية، وأما البعد النفسى والـــبعد الفكـــرى أو العقدى فهما واضحان أشد الوضوح فى القصـــة القرآنـــية، ويبرز هذان البعدان فى أبعاد الشخصية من خلال الحوار تارة أو الحدث أو التصوير الفنى تارة أخرى"[2].

وهكـــذا يســـمو القصص القرآنى بتلك العلاقة ويرتقى بها، ويرســـم لهـــا عالمها الروحى والأدبى، بعيدًا عن مزالق الشطط والتجاوز الذى يزخر به عالم الكتابة البشرى، وإذا كان القرآن قد عبر عن هذا فى جانبيه المادى والمعنوى، الجسدى والروحى والنفسى، فإنه يضرب الأمثال، ويسن القدوة، ويضيء السبيل.

يقـــول الدكـــتور محمد حسن عبد الله: "وقد عنى القرآن بالقصص كثيرًا، فتعددت مواضيعها، ومراحل تصوير أحداثها، وتفضـــيل طـــبائع شخصياتها، وإبراز الطابع الحوارى فى سياق صـــياغتها، وتبقى قصة يوسف وامرأة العزيز متميزة بتكوينها وتفاصيلها ورسم شخصياتها، والاهتمام بمواقفها وحركة الحوار فـــيها، وتعـــدد أزماتها ومآزقها وطريقة حل هذه المآزق، وقد اقتحمت تفاصيل هذه القصة اللحظات الحرجة فى موقف إغراء المرأة للرجل ، وعبرتها لمحًا فى عبارات فيها من واقعيـــة التعبـــير

(1) عـــبد الكـــريم الخطيب: القصص القرآنى فى منظومه ومفهومه، دار الفكر العربى، القاهرة، 1974، ص113

(2) الحوار ورسم الشخصية فى القصص القرآنى مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997، ص211

وصـــدق إحساس المرأة، وطبيعة سلوكها بقدر ما فيها من ترفع عـــن ابـــتذال اللفظ وضعة الإشارة، وإن هذه القصة يمكن أن تكـــون بذلـــك نموذجًا متوازنًا للكتابة الصريحة فى مجال الحب والجنس، يجمع بين الغاية والوسيلة على مستوى واحد، دون أن يكـــون أحدهما ذريعة للترخص فى الآخر، ولا تزال هذه القصة الدينـــية تحمل من عناصر التشويق والإثارة بحيث تفرض نفسها على أى مؤلف فى موضوع الحب"[1].

وهكـــذا فإن الأساليب البيانية القرآنية، لم تخلُ فى طياتها من تصوير الجنس فى مرحلته "الشبقية" – كما رأينا – غير أن ذلك لم يـــثر فيـــنا رغبة، إذ سيق فى عرضٍ موضوعى، يصور جلال المشـــهد الإنســـانى، الذى يجمع بين الخوف والرهبة، والشهوة والامتـــناع، فى حضـــور وغياب، توافقا معًا فى التو واللحظة، مجســـدًا بعضـــها صـــوراً مـــن الصراع الإنسانى، عبر الرغبة والاندهاش ، والثورة والتعالى .

وأصـــل الأمر كما يقول ابن المقفع فى الكلام، أن تسلم من الســـقط بالـــتحفظ ، ثم إن قـــدرت على بلوغ الصواب فهو أفضل"[2].

لقـــد حفـــل القرآن الكريم بكم من الآيات والألفاظ، التي تجسد هذه اللحظة وتبرزها واضحة للعيان، دون مبالغة أو خلط أو إسفاف.

هذا يعنى أنه يمكن التعبير عن العلاقة الجنسية بألفاظ سامية غاية الســمو وغاية الرقى دون إسفاف.

---

(1) الحب فى التراث العربى. دار المعارف، القاهرة 1994، ص29.

(2) الأدب الصغير والأدب الكبير دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة، تونس 1991 ، ص74

العلاقـــة بين الجنس والفن والأدب علاقة منفكة، تعلو وتسمو بالألفاظ، وتهبط وتسف بالألفاظ.

قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُم ﴾[1].

"والرفـــث مقدمـــات المباشرة، أو المباشرة ذاتها، وكلاهما مقصـــود هنا ومباح..ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمســـة حانية رفافة، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقًا ونداوة، وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيوانى وعرامته، وتوقظ معنى الستر فى تيسير هذه العلاقة"[2].

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُم وَأَنتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[3].

واللـــباس ســـاتر وواق.. وكذلك هذه الصلة بين الزوجين تستر كلاً منهما وتقيه [4].

التعـــبير القرآنى هنا تعبير بديع، يصور فى بيان راق التصاق الـــزوج بزوجته، إذ نلمح بين جوانحه عمق العلاقة وتأكيدها فى صـــورتها الغريزية الطبيعية، المفطور عليها الإنسان، جاءت فى سياق المشهد والفعل، ومع ذلك لم تهبط العبارة ولم تسف، بقدر ما سمت إلى روحانيات هائمة فى درجات الجلال الأعلى، مجسدة تلك النفس فى ذوبانها وتلاشيها، وديمومتها، وصيرورتها المطلقة، تلك التي لا تحدها حدود، مغلفة ذلك بالود والرحمة والتفانى.

هكذا "يصف القرآن العلاقة بين الرجل والمرأة فى تعبير دقيق جمـــيل، ففـــى هذه الكلمات القليلة تصوير رائع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح فى آن، فاللباس ألصق شيء ببدن الإنسان ، وهو

---

(1) البقرة: (الآية :187)

(2) ســـيد قطـــب: فى ظلال القرآن، الطبعة العاشرة، دار الشروق، القاهرة، 1982، ص174.

(3) البقرة: (الآية :187)

(4) فى ظلال القرآن: ص174.

الستر الذى يستتر به، وهو فى الوقت ذاته مفصل على قده لا ينقص ولا يزيد، والرجل والمرأة ألصق شىء بعضهما ببعض: يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة، وفى لحظة يذوب كل منهما فى الآخر فلا تُعرف لهما حدود، وهما أبدًا يهفوان إلى هذا الاتصال الوثيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلابسه، ثم هما ستر، كل واحد للآخر، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة، وهما على الدوام ستر روحى ونفسى، فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين، يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منها شىء فتنهبه الأفواه والعيون، وهما كذلك وقاية تغنى كلاً منهما عن الفاحشة وأعمال السوء، كما يقى الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير، وهما بعد ذلك كاللباس فى تفصيله مضبوطًا على القد، يلبسه صاحبه فيستريح إليه، ويتحرك نشيطًا فى محيطه، ويكتسب به زينة وجمالاً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين، فليس أبدع من تصوير هذه المعانى كلها فى تشبيه واحد شامل عميق .

وإذ كانت العلاقة بين الرجل والمرآة وثيقة إلى هذا الحد، فقد وجب أن يلتقيا ليكون كل منها لباسًا لصاحبه، يزينه ويكمله، ويلتصق به للوقاية والستر"[1].

ومن ثم يحفل القرآن بالعديد من تلك الآيات ومنها: قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾[2].

"هنا نطلع على سماحة الإسلام، الذى يقبل الإنسان كما هو، بميوله وضروراته ، لا يحاول أن يحطم فطرته باسم التسامى

(1) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة 1997 ، ص196 ، 197

(2) البقرة (الآية 223)

والـتطهر، ولا يحاول أن يستقذر ضروراته التي لا يد له فيها، وهـو مكلف إياها فى الحقيقة لحساب الحياة وامتدادها وغائها! إنما يحاول فقط أن يقرر إنسانيته ويرفعها، ويصله بالله وهو يلبى دوافـع الجسد، يحاول أن يخلط دوافع الجسد بمشاعر إنسانية أولاً، وبمشـاعر دينـية أخيرًا، فيربط بين نزوة الجسد العارضة وغايـات الإنسـانية الدائمة ورفرفة الوجدان الدينى اللطيف، ويمـزج بيـنها جميعًا فى لحظة واحدة، وحركة واحدة، واتجاه واحـد، ذلك المزج القائم فى كيان الإنسان ذاته، خليفة الله فى أرضـه، المستحق لهذه الصفة بما ركب فى طبيعته من قوى وبما أودع فى كيانه من طاقات..»[1].

كمـا يشير القرآن إلى وصف اللحظة ، وإن كانت خارج إطارها المشروع،عبر ألفاظها الدالة:﴿رَاوَدتُّهُ﴾[2]،﴿رَاوَدَتنِى﴾[3]، ﴿رَاوَدتُّنَّ﴾[4].

وكذلك غيرها كثير فى مواضع أخرى كقوله:﴿لاَمَسَتُمُ﴾[5]، وكـلها تشـير إلى الفعـل كناية وترفعًا، مع عدم ذكر اللفظة والإتيان بما يدل عليها .

وإذاكـان ذلـك سمـت هذه النصوص القرآنية فى رسمها لشخوصها الإنسانية عبر المشهد والحوار والصياغة، فماذا عن النصوص البشرية فى تناولها لهذه العلاقة؟!!

وأول مـا يطالعنا فى ذلك، هو (حديث أم زرع)، كما رواه البخارى عن عائشة ، فنقتطف منه ما جاء فى هذا الباب علـى

---

(1) فى ظلال القرآن : ص242.
(2) سورة يوسف (الآية : 32 ، 51)
(3) سورة يوسف (الآية 26)
(4) سورة يوسف (الآية 51)
(5) سورة النساء (الآية 43)

لسان المرأة العربية .

جـاء فى حديث المرأة الخامسة فى وصف زوجها: (إن دخل فَهِد) قال ابن أويس : معناه : إذا دخل البيت وثب علىّ وثوب الفَهِد .. تشير إلى كثرة جماعه لها إذا دخل ، فينطوى تحت ذلك تمدحهـا بأنها محبوبة لديه ، بحيث لا يصبر عنها إذا رآها، والذم من جهة أنه غليظ الطبع، ليست عنده مداعبة ولا ملاعبة قبل المواقعة، بل يثب وثوبًا كالوحش.

وفى قـول السادسة: وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف، ليعـلم البـث .. أو هـو كناية عن ترك الملاعبة أو عن ترك الجمـاع ..

وفى قـول السابعة: زوجى غياياء أو عياياء: قال أبو عبيد: العـياياء ، الحـيى الذى تعيبه مباضعة النساء .. وعن الجاحظ: الثقـيل الصـدر عند الجماع، ينطبق صدره على صدر المرأة فيرتفع سفله عنها.

وجـاء فى كتاب فضائل القرآن، باب فى كم يقرأ القرآن ، عـن عبد الله بن عمرو قال: "أنكحنى أبى امرأة ذات حسب، فكـان يتعاهد كَنَّتَهُ فيسألها عن بعلها، فتقول: نعْمَ الرجلُ من رجل، لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كَنَفاً منذ أتيناه.."، كَنَّته: زوج ابنه – لم يطأ لنا فراشا: أى لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا – لم يفـتش لنا كَنَفا، الكَنَف هو السِتْر والجانب وأرادت بذلك الكـناية عن عدم جماعه لها، لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته فى دواخل أمرها..

وجـاء فى حديث السيدة عائشة فى حادثة الإفك : لما ذُكر مـن شأن الذى ذُكر، وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذى قيل له فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط، (يريد بذلك

أنه لم ينظر إلى عورة امرأة أجنبية)[1].

وهكـــذا تغلف المرأة العربية كلامها بغلاف العفة والحياء، "فالحـــياء قرين العفة، إذ يلعب دورًا مهمًا فى حياة المرأة، فهو "صـــمام الأمـــان" أو "قـــناع الوقاية" وهو فطرى فى الإنسان الســـوى بعامة" وعلى هذا، فإن الحياء وثيق الصلة بعفة المرأة وتصـــونها.. والحياء من مكملات المرأة الخلقية فى نظر الرجال، لأنه دليل على تصونها وعفتها، وتمنعها، وأنوثتها، فالحياء والعفة توأمان"[2].

والكـــناية عـــن الأشياء التي يُستحى منها كثيرة فى القرآن والسنة، تشير جميعها إلى براعة التصوير ودقته.

وإذا كان هذا وذاك، فماذا عن أشكال التعبير وأنساق الفن والتصوير فى"السرد النسائى"؟!! يقول محمد قطب:"فى مثل هذه النصـــوص نواجه بالأنثى التي تبحث عن المتعة وتختار فى اقتناع كامل من له وفرة ذكورية لإطفاء حدة الشبق، وتبرز بعض تلك النصوص النمط الجامح من السلوك تحت شعار حرية الأنثى فى المعرفة، وحريتها فى التعامل الخاص لمفرداتها الجسدية وفق الرؤى الـــتي تحكـــم وتدفـــع، وعبر النص والحوار والموقف والمشهد الوصـــفى..نلاحـــظ القـــيود التي يشار إليها كمعوق للذات، وللإبداع معًا، ونقف – فى دهشة – على ما يسمى بالاستحواذ على الجسد وقمعه،ومن ثم إذعان الأنوثة وقهرها"[3]

---

(1) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى. للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجـــر العسقلانى، دار الريان للتراث، القاهرة،1987،(9/171،170، 9/ 346/714،8/173،8/172،9) .

(2) انظـــر طبـــيعة المرأة فى الكتاب والسنة، د عبد المنعم سيد حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985، ص53 وما بعدها.

(3) محمد قطب مقال بعنوان (الوقوع فى أسر الجسد) مجلة القصة، العدد 98 (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر) 1999، ص5

ومن ثم تختلف الصياغة اختلافًا ظاهرًا، إذ تبدت لنا صورتان متناقضتان، ففي الأولى تبدو أكثر المشاهد حسية ووصفية، وكأننا لا نلمح فيها ما يدل على بروز الغريزة ورخصها، وإن جاء في سياق المشهد والتصوير الواقعي، بينما يختلف الأمر في الأخرى.

على أن هذه الأساليب تبين عن غاية واحدة، ومنهج واحد، تتبارى فيه الشخصية الإنسانية، سواء أكان ذلك في عالم الإبداع والفن، أم كان في عالم الشهادة المرئي، وإن جنح الأول إلى التصوير والخيال والإعلاء.

- 2 -

تنوعت صورة المرأة في الأعمال الروائية المعاصرة تنوعًا ملحوظًا، تراوح بين العلم والتحرر، والنهضة وتقدم الأمة، وكذلك قضايا الفقر والتخلف والطبقية، وكان الارتباط بالآخر قاسمًا مشتركًا نلمحه بين ذلك جميعه، فكان سافرًا آخذًا شكلاً خارجًا عن المألوف تارة، وكان في بعضها الآخر متآلفًا مع الجموع ملتحمًا بها تارة أخرى، ومن ثم لم يكن الجنس وحده هو الغالب أو المعيار، وإن تبدى في أعمال كثيرة"[1].

غير أن المرأة المصرية قد سجلت ذاتها عبر القص منذ ما يربو على قرن من الزمان، ففي مجلة (فتاة النيل) نقف على رواية مسلسلة بعنوان: (ثريا) لكاتبة اسمها سارة.

ويتوالى الإبداع النسائي، فنرى قصة (قلب الرجل) بقلم لبيبة هاشم (1882 - 1949) ثم (الجامحة) 1946 لأمينة السعيد

(1) راجع صورة المرأة في الرواية المعاصرة للدكتور طه وادي - دار المعارف - ط رابعة - القاهرة 1994

ويعقبهما أسماء حليم فى الخمسينيات.

ثم نجد كاتبات أخريات كلطيفة الزيات فى (أوراق شخصية)، (صاحبة البيت)، (البيت المفتوح) 1960.

ورضوى عاشور فى (الحجر الدافئ)، (خديجة وسوسن)، (سراج)، (غرناطة) بالإضافة إلى زينب صادق التي قدمت روايتها: (شهور صيف) 1960، (يوم بعد يوم) 1969. وإقبال بركة فى (ليلى والمجهول) وإن سارت على نهج السرد الصحفى، وكذلك سكينة فؤاد فى (ليلة القبض على فاطمة)، وقد حملت أفكار هؤلاء الكاتبات قضايا عصرهن ومشكلاته[1].

لقد شغلت قضية المرأة المصرية أفكار المجتمع، وتبلورت كأبرز ما يكون لدى نفر من مفكرى العصر ومصلحيه، فبدت وكأن صراعًا أبديًا بينها وبين الرجل، وقد أخذ ذلك نوعًا من الجدل والمكابرة أحيانًا، والسخرية فى أحيان أخرى .

على أن هذا قد أخذ مكانًا مهمًا فى تاريخنا الحديث منذ أوائل القرن التاسع عشر، إذ له من الجذور التاريخية ما تفتقت عنه أدوار مهمة عاشتها المرأة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، بعد عصور حافلة بالإظلام والتردى والتخلف حاقت بها جملة، وأوصدت أمامها أبواب التطلع والارتقاء والتطور .

غير أنها قد تجاوزت تلك المراحل ، واستطاعت أن تحقق قدرًا من ذاتيتها، بعد أن نالت قسطًا من التعليم، هيأها للمشاركة الفاعلة فى صنع مجتمعها، إذ دخلت ميدان العمل من أبواب واسعة، وأثبتت قدرة، واقتدارًا فى هذا الميدان"[2].

(1) انظر: مقالاً بعنوان: (الإبداع الروائى للمرأة المصرية) إبراهيم فتحى، مجلة الهلال، عدد مارس، دار الهلال، القاهرة 1995، ص78 وما بعدها.

(2) راجع: فصلاً بعنوان: المرأة المصرية فى مرحلتى التغير والتبعية، ضمن كتاب الشخصية المصرية فى الشعر الحديث، للدكتور عبد العاطى كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000 ، ص221 وما بعدها =

"وإذا كـــان طمـــوح الفـــن دومًا إلى رصد الواقع والتعبير الجمالى عنه وعكس حركته، فإن الرواية الحديثة – أقرب عوالم الأدب إيحـــاء بعكس حركة الواقع وتقديم صورة حية له – قد أعطت (المرأة) بعضًا مما أعطاه الواقع لها، حين اعترف واعيًا بأن المرأة نصف المجتمع، إن معظم الأدباء والفنانين رجال .. لكنهم كانوا – فى الغالب – أكثر ديمقراطية وتقدمية من الواقع الذى عايشـــوه، فاحـــتفوا بالمرأة حفاوة بالغة منذ بدأ الإنسان يبدع ويتفنن حتى اليوم، فقد كانت المرأة – فى الفن كما هى فى الحياة – مـــلهمة .. وراعـــية .. وشريكة حياة .. ودافعة للحرية .. ومحركة للآمال .. كما كانت لدى البعض أيضًا مصدرًا للآلام والأحزان .."[1].

وإذا كـــان هـــذا يـــنم عن رؤية المرأة عبر قضيتها، ورؤية الآخرين، فماذا عن دورها هى فى مجال حقل خاص من الحقول الـــتي خاضـــتها؟ وهل أثبتت دورًا يحسب لها، كما فعلت فى الجوانـــب الأخرى؟ أم أن هذا بات لا يتحقق إلا بوصفه بوقًا معـــبرًا عن حالة خاصة جدًا، هى حالة "الذات الأنثى" مهملة جوانب أكثر ثراءً وإغراءً تعبر عن قضايا مجتمعها ومشكلاته.

والســـؤال هـــو : إلى أى حد نجحت المرأة فى أداء دورها الإبداعى؟

وإلى أى مـــدى؟ وما نوع الكتابة التي تنتهجها؟ وما الفرق بين عالمها هى وعالم الرجل عبر الكتابة؟ سمة الأدب/ استخـــدام

= – راجـــع: الجـــذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى عصرها الحديث، للدكـــتور محمـــد كمال يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983.

– راجـــع: المرأة المصرية والتغير الاجتماعى (1919 - 1945) للدكتورة لطيفة محمد سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

(1) صورة المرأة فى الرواية المعاصرة، ص3.

آلـيات الفـن الروائى/ زوايا التعبير/ الواقع/ المجتمع/ الذات/ الآخر.

هل غطت تلك الجوانب جميعًا؟ وهل نضج فكرها وتعددت موضوعاتها بحق؟ أم أنها على الرغم من ذلك، لم يتسنَّ لها شيء من هذا؟ وقد انحرفت بإبداعها إلى زاوية محدودة، دون نضوج لا يرقى إلى مستويات من التعبير؟!!.

يقول د. سيد محمد سيد قطب: "الحقيقة أنه على الرغم من محاولـة الكاتـبة المعاصرة استنهاض صوتها الخاص من أعماقها خلال عملية الكتابة، وإبعاد شبح الرجل الكاتب من سراديب النص، مستعيذة بمفردات أنوثتها، وحقول تجاربها التي لا يمكن للـرجل أن يمارسها، فإنها – هذه الكاتبة – تلتقى مع أصوات، أو بالأصـح بعـض الأسـاليب، تنتمى إلى مبدعين رجال لهم حداثتهم وتجارب اغترابهم"[1].

ثم يضـيف "لا يعـنى ذلـك أننا ننفى عن السرد النسائى خصوصيته، ولكنه اختيار وتشكيل، وهو حتى الآن لم ينجح فى الخـروج من أسر الحداثة الرجالية، بل إن هذه الحداثة فى بعض الكـتابات، لرجال ونساء دون فرق، أصبحت نسخًا مكررة، وكأنهـا استنساخ للطريقة (الخراطية)[2]، ولكن ينقصها نضج ووعـى الـرجل صاحب الطريقة، فالإبداع النسائى، بعد أن اسـتقل عـن الحركات القومية العامة (مرحلة لطيفة الزيات) وتخطـى بصعوبة متعثرة متاهة المقولات الوجودية (مرحلة غادة السمان) يعيش الآن مرحلة "المرآة" يقف أمام مرآة الإبـداع ،

(1) مجلة القصة: مقال بعنوان: (ملامح أسلوبية فى القصة النسائية) العدد 98، القاهرة 1998، ص94.

(2) يقصد بذلك تقليد بعضهن للكاتب إدوار الخراط.

أمام التقاليد الأدبية ، والمرجعية المعرفية للنظريات الجمالية، كى يرصد ملامح ذاته، محاولاً استبعاد صورة الأم من المرآة، وإخراجها من ملامحه، نقصد بصورة الأم التقاليد الأدبية السائدة، وبالطبع قد أرسى الرجل مرجعيتها"[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض هذا الإبداع، يتساوى مع إبداع الرجل، إذ تذوب أحيانًا فوارق النوع وتتلاشى، غير أنه على المرأة ألا تنشغل بمحورها هى، محور الذات الأنثى، إن قضية الذات الأنثى المشغولة بكينونتها، والمتمثلة فى قضايا الجسد والأنوثة، وقهر الذكورة المهيمنة، والشبقية الجامحة، هى قضايا جانبية خاصة، إنه على المرأة الآن أن تتناول مشكلات عصرها ومرحلتها، فتقف بنا على سلبيات يزخر بها واقعها، هى سلبيات قد يكون محور الذات الأنثى من بينها.

وليس معنى هذا أيضًا أن هذه خصيصة من خصوصيات المرأة، إذ إن أدباءنا الذين عالجوا موضوع الجنس فى بداية عصر النهضة المصرية الحديثة قد أفرطوا فى ذلك، غير أنهم لم يعبروا تعبيرًا مباشرًا فى كل الأحوال، وإنما لجأوا أحيانًا إلى نوع من الرمز، وإن عبروا عن أخص خصائصه، وإن غالى بعضهم فى ذلك أحيانًا ، ومع هذا يظل الرمز والإشارة سمة لتلك الكتابات[2].

ومع ذلك كله سيظل الجنس فى أدب المرأة العربية الحديثة موضوعًا أساسيًا، بوصفه معيارًا على حريتها[3].

---

(1) السابق والصفحة.

(2) انظر مقالاً بعنوان (ماذا كتب العقاد ويحيى حقى ولطيفة الزيات فى الجنس)، ماهر شفيق فريد، مجلة الهلال، مارس، دار الهلال، القاهرة، 2001، ص14

(3) راجع أزمة الجنس فى القصة العربية، د. غالى شكرى، الطبعة الثالثة، دار الآفاق، بيروت، 1978، ص268 وما بعدها.